د. محمد يسف الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى

تجربة المغرب نموذج مبتكر في تفعيل رسالة العلماء وتجديد حيويتها

أكد الدكتور محمد يسف، الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى، في حوار أجرته معه مجلة «المجلس»، أن رسالة العلماء اليوم تتجاوز دور السلف باعتبار الكم الهائل من الآليات والشروط التي أضحى التمكن منها شرطاً ضرورياً من شروط التصدي لمهمة التنوير، وأن العلماء نواب أمير المؤمنين في حراسة العقيدة والمقدسات من التزوير والتزييف، والغلو والتحريف، ومن التأويلات الفاسدة والقراءات الشاذة.

وأوضح د. يسف أن التجربة المغربية في هيكلة الشأن الديني وتنظيمه وتأطيره نموذج مبتكر في تفعيل رسالة العلماء وتجديد حيويتها ومناعتها ضد الفوضى والعبث.

وننشر، هنا، نص الحوار :

• يبدو أن إحداث المجالس العلمية قد جاء لوضع العلماء المغاربة في معترك الإصلاح وفي قلب المجتمع... إلى أي مدى تسعى المجالس، وفق هذا الأفق، إلى تجذير دور العالم في مشهدنا الراهن؟ وهل يشكل عمل العلماء داخل المجالس امتدادا لفاعليتهم التي تحققت على امتداد تاريخ الدولة المغربية، وتطويرا لها؟ أم أن البعد الرسمي المشكل لتلك المجالس يؤثر على حرية العلماء المنخرطين فيها، ويحد من إشعاعهم؟

◆ أود في البداية التذكير بأن للعلماء جذورا ضاربة في عمق تاريخ المغرب، فليست مؤسستهم العلمية وليدة الصدفة ولا هي آتية من فراغ.

علماء المغرب كانوا شهود ميلاد دولة الإسلام فوق هذه الربوع، من أول يوم أبصرت فيه الحياة، هم الذين باركوا ميلادها، وأعلنوه، وبشروا به، وعززوه ونصروه، ومكنوا له، ولم يكلوا أمره إلى الصدفة، لكي تقرر مصيره، بل نظروا فيه بثاقب بصرهم، ونافذ بصيرتهم. فهداهم الله إلى اعتماد أسس شرعية، وقواعد علمية، اتخذوها مرجعية تستمد منها الدولة شرعيتها، وتقيم على أساسها فلسفتها في تدبير شؤون الدين والدنيا، وتتخذ منها الأمة مقومات وحدتها وجمع كلمتها.

وعلى امتداد تاريخ المغرب الإسلامي، ذي الألف والأربعمائة عام أو تزيد؛ وفي مصاحبة حقيقية لسياسة الدول والممالك المتعاقبة على العرش المغربي، مارس علماء الأمة بأمانة وإخلاص، وظيفتهم الشرعية في حراسة الأمن المعنوي، وتأطير حياة المجتمع، دينيا، وعلميا، وتربويا واجتماعيا وحتى سياسيا، تاركين في كل حركة للناس في مجتمعهم، بصمات إصلاحية واضحة المعالم، دالة على حضورهم المتميز، وتأثيرهم القوي، في توجيه الأحداث، الوجهة الصحيحة الملتزمة بالمرجعية الضابطة لسياسة الدولة، وقيم المجتمع.

ولئن كان رواد العلم الأوائل المؤسسون، منذ سالف الدهر، قد أجادوا في القول، كما أجادوا في العمل، وحققوا للأمة حاجتها في الأمن الروحي والتماسك الديني، بشهادة التاريخ لهم، وإشادته بأدائهم؛ فإن إرثهم الضخم الذي خلفوه وراء ظهورهم يقع ثقله اليوم على عاتق خلفهم، بكل حمولته ومضامينه العلمية والعملية، والسلوكية، والاجتماعية والسياسية كذلك.

• ما هي أولويات المجلس العلمي الأعلى، وهل هناك حرص على إيجاد آليات لتحقيق تلك الأولويات في أقرب الآجال؟ ثم ما الجديد الذي

مؤسسة العلماء مرتبطة شرعا بإمارة المؤمنين التي يعود إليها أمر حماية الدين وصيانة المقدسات

المؤسسة العلمية تتحرك في الاتجاه الصحيح، ولا تخضع لأي توجيه خارج عن دائرة أهل العلم

تقدمه تجربة المؤسسة العلمية داخل المشهد الإسلامي المعاصر؟

• إن المؤسسة العلمية في صيغتها المعاصرة لا بد أن تبدأ عملها الإصلاحي، من حيث انتهى عمل سلفها، مقتفية نهجهم وطريقتهم، إذ هم أعلام الأمة الذين كانوا ملء سمع الدنيا وبصرها، وهم المثل الأعلى، والقدوة الحسنة.

إن مهمة المؤسسة العلمية ليست سهلة يسيرة، بل شاقة وعسيرة، والعسر والمشقة كانا الفيصل بين الجد والهزل في كل أمر ذي بال.

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يُفقر، والإقدام قَتَّال

وليس ثمة اختيار ثالث أمام العلماء، سوى أن يقرروا بين أن يكونوا، فيوطنوا أنفسهم على اقتحام الصعب، وتذليل الشاق؛ أو لا يكونوا، وحينئذ يصدق عليهم قول رب العزة في كتابه المبين: «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف»، ويكون لهم نصيبهم من الإدانة التي يستحقها كل مقصر ضعيف على نحو ما قال شاعر قديم:

ورثنا المجد عن آباء صدق
أسأنا في ديارهم الصنيعا
إذا المجد العظيم توارثته
صغار النفس أو شك أن يضيعا

ويبدو لنا اعتمادا على معطيات كثيرة، أن العلماء قد وعوا بعمق المهمة المنوطة بهم، والأمل المعقود عليهم، والفعل المنتظر منهم القيام به لصالح مجتمع اليوم، البالغ التعقيد، وهو دور، ومهمة، ورسالة، تتجاوز دور السلف باعتبار الكم الهائل من الآليات والشروط التي أضحى التمكن منها شرطا ضروريا من شروط التصدي لمهمة التنوير، ومكونا أساسيا من مكونات ثقافة الفقيه الصالح، مضافا إليها – طبعا- ما كان مع عالم السلف من قيم علمية، وأخلاقية وسلوكية جليلة القدر، عالية القيمة، عميقة الأثر.

وإن من يرصد عن كثب عمل المجالس العلمية المحلية لا يفوته أن يلاحظ أنها تعيش حالة من الاستنفار والتعبئة، من أجل إعادة الهيبة، واسترجاع موقع العالم الفقيه، الذي كان رمزا من رموز الصدق والعفاف والتقى والعلم الذي يرفعه إلى مقام القدوة ونراها –بفضل الله- في معظمها، تسجل في كل يوم خطوات جديدة لافتة على درب العودة، ويزيد النفس اطمئنانا والقلب يقينا ما يحظى به عملها المتنوع الأغراض لدى الكافة، من الرضا والقبول، وما يحدثه من أثر إيجابي في النفوس النقية والضمائر الحية –وهي كثيرة بين أهلنا وقومنا-.

وكلها إشارات دالة، وقرائن تؤكد أن المؤسسة العلمية، تتحرك في الاتجاه الصحيح، ولا التفات لمقولة المشككين في قدرة العلماء، بدعوى وقوعهم تحت تأثير الرسمي. وإبراء للذمة وإبطالا لهذه الشبهة القائمة على مجرد الوهم، والرجم بالغيب، وعلى الظن الذي لا يغني من الحق شيئا، أن نعلن من هذا المنبر، أن مؤسسة العلماء لا تخضع لأي توجيه من أي جهة خارجة عن دائرة أهل العلم، وهي في نفس الوقت ليست تابعة لأي جهاز رسمي، أو دائرة حكومية، إذا استثنينا الصلات التي تربطها بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وهي صلات يحتمها التلاقي بين المؤسسة العلمية ومؤسسة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في أكثر من فضاء، والتوارد على أكثر من صعيد، في إطار الاحترام التام لاختصاصات العلماء.

ومع ذلك ينبغي أن لا يعزب عن البال، أن مؤسسة العلماء مرتبطة

ارتباطا شرعيا بإمارة المؤمنين التي يعود إليها أمر حماية الدين، وصيانة المقدسات، والعلماء هم نواب أمير المؤمنين في حراستها من التزوير والتزييف، والغلو والتحريف، ومن التأويلات الفاسدة والقراءات الشاذة التي تفضي إلى الاختلاف المذموم والفرقة المنهي عنها، وتؤدي إلى التنازع والتقاتل. وقد استقر في تقاليدنا المرعية، وعرف قومنا، أنه لا يجوز لأي كان أن يدخل على الخط الرابط بين العلماء وأمير المؤمنين بأي شكل من الأشكال.

ويمثل هذا التقليد العريق أعظم حصانة للمؤسسة العلمية من العبثية، وأكبر ضامن لاستقلالها. ولا أرى داعيا للإفاضة في تداعيات مثل هذه المقولات الخاطئة، على وحدة صف العلماء، بتصنيفهم إلى علماء رسميين، وآخرين، وهي بدعة سخيفة، ومكيدة في غاية الخبث، لا يمكن أن تستقر إلا في عقل مريض.

● دعت الدورة الاستثنائية للمجلس العلمي الأعلى إلى دخول العلماء للمجال الاجتماعي المنظم... هل جاءت تلك الدعوة انسجاما مع المبادرة الملكية في التنمية البشرية، وما ملامحها الرئيسية؟ ثم ما الذي تحقق في إطار تفعيل الدور الاجتماعي للمؤسسة العلمية لحد الآن، وهل هناك آفاق لتطوير هذا الدور وترسيخه؟

◆ في صدارة أولويات المجلس العلمي الأعلى، بعد أن أخذ خطاب المؤسسة العلمية، يشق طريقه بثبات، بين مختلف فئات المجتمع التي تتجاوب معه بشكل غير مسبوق؛ مسألة تفعيل القرار الذي اتخذته الدورة الاستثنائية للمجلس العلمي الأعلى، بشأن العمل الاجتماعي بمفهومه الشامل، الذي لا ينحصر فقط في حاجات الإنسان إلى الأكل والشرب واللباس والسكن، بل تتجاوز ذلك لتشمل تعليمه وتهذيبه والارتقاء بعقله، وروحه، وأخلاقه، ومستواه الحضاري، وغيرها من كل ما تتحقق معه كرامته.

ولا حاجة إلى التذكير بأن العمل الاجتماعي كان على مر العصور جزءا لا يتجزأ من مهمة أهل العلم، يمارسونه استقلالا، وبمعية أهل الخير والإحسان، والبر والجود.

إن علماء الملة هم أهل العمل الاجتماعي، ورعاته، وهم جنوده وخدامه، ولست متسرعا، ولا مبالغا

لا يجوز لمن ليس من أهل العلم أن يتطاول على القول في الدين، أو أن يفتي الناس فيما ينزل بهم من نوازل

إن قلت أن لنا في مجالسنا العلمية مجالس حققت في ميدان العمل الاجتماعي سبقا طيبا، وضربت بسهم وافر في تحقيق إنجازات لافتة، ما كان يخطر ببال أحد أن مثلها يشغل بال العلماء.

وتعتبر هذه المجالس مدرسة لنا، ومعهدا لتكوين المجالس الناشئة ولنا – أيضا- مجالس أخرى يسكنها هاجس اللحاق بالتي سبقتها، في حين يتهيأ الكل للإقلاع.

تعد التجربة المغربية في هيكلة الشأن الديني، وتنظيمه وتأطيره أنموذجا مبتكرا في باب تفعيل رسالة العلماء، وتجديد حيويتها ومناعتها، ضد الفوضى، والعبثية والارتجال، إن الأمر هنا يتعلق بدين الأمة، ومقدسات الشعب، وهو أمر لا مجال فيه للصدفة والعفوية، بل لابد فيه من الجدية الصادقة، والعناية الفائقة، وفي ضمن الرعاية والاهتمام، تأطيره بأهله المؤتمنين على حراسته، تحت مظلة من ألقى الله على عاتقه أمانة صيانته. فلا يجوز لمن ليس من أهل العلم، أن يتطاول على القول في الدين، أو أن يفتي الناس فيما ينزل بهم من نوازل، فمنبر العلم مقدس لا يعتليه إلا فقيه عالم، وإمام تقي نقي، عملا بوصية من وصايا السلف الصالحين التي تقول: «إن هذا الأمر دين، فانظروا عن من تأخذون دينكم».

● تعززت المجالس العلمية بحضور نسائي لافت للاهتمام... ما هي خصوصية إسهام المرأة داخل المؤسسة العلمية، وهل هناك ضرورة لتقوية هذا الحضور وتعميقه؟

◆ لعل أبرز ما أتت به التجربة المغربية في إعادة تنظيم المؤسسة العلمية –وهو شيء يتفرد به المغرب- إشراك المرأة العالمة في المجالس العلمية، إشراكا رسميا، مسؤولا لأول مرة. وكان هذا الشأن قبل اليوم، وقفا على ذكران العلماء، دون إناثهم. وبالرغم من أن هذه التجربة لا زالت في بداية الطريق، فإن شواهد العمل الميداني تدل على أن لهذه المبادرة ما بعدها، بحيث يصح القول: إنها قيمة حقيقية في باب العمل التنويري، تضاف إلى رصيده الغني، ولا سيما على مستوى المرأة والأسرة، والطفولة والشباب، الذي لم يكن يمسه نشاط المؤسسة العلمية بالقدر الكافي. وإن نجاح التجربة ليدفع إلى التفكير في تخصيص حيز أرحب للعمل النسائي، داخل فضاءات المجالس العلمية المحلية وفروعها.

الإفتاء

● ألا يشكل حصر مهمة الإفتاء داخل هيئة خاصة نوعا من تضييق واسع؟

◆ من الجديد المفيد في الصياغة الحديثة لمؤسسة العلماء إنشاء هيئة علمية للإفتاء الشرعي، تابعة للمجلس

هيئة الإفتاء تختص بالنظر في النوازل والقضايا ذات البعد العام، ولا تتعرض للفتوى في الوقائع الشخصية التي يتسع النظر فيها للمجالس العلمية المحلية

د. محمد يسف في مكتبه بالمجلس العلمي الأعلى

العلمي الأعلى، تتكون من خمسة عشر عالما وعالمة، وتختص بالنظر في النوازل والقضايا ذات البعد العام، ولاتتعرض للفتوى في الوقائع الشخصية التي تهم الأفراد في شأنهم الديني والدنيوي، والتي يترك النظر فيها للمجالس العلمية المحلية.

والهيئة العلمية للإفتاء تعمل وفق ضوابط وقواعد محددة، وتصدر فتاواها بإجماع أعضائها، ويمكنها أن تستعين بخبرة الخبراء من خارج الهيئة عندما يقتضي الموضوع المطروح على نظرها مزيدا من التحري، والبحث المضيء لما قد يكون خافيا من جوانب الموضوع وملابساته.

ولعلنا بهذا البيان المحدد لاختصاص هيئة الإفتاء، نكون قد أزلنا الغموض الذي جعل بعضهم يظن أن في هذا الإجراء الحكيم احتكارا للميدان، وتضييقا للواسع، فأمر الإرشاد فيما يهم الأشخاص من أمور دينهم متروك للمجالس العلمية المحلية تمارسه بواسطة لجن الإرشاد والتوجيه التابعة لها.

الشباب

• هل تضع المؤسسة، في الاعتبار، مشكلات شبابنا وتطلعاتهم؟

◆ تضم المجالس العلمية المحلية وفروعها فئة عريضة من شباب العلماء، وعدد كبير منهم يتولون تدبير المجالس بوصفهم رؤساء لها، أو أعضاء فيها، أو في الفروع التابعة لها، وهم في معظمهم من خريجي التعليم العالي بجامعة القرويين ودار الحديث الحسنية، وشعب الدراسات الإسلامية. وطبيعي أن تحظى قضية الشباب، بقدر كبير من العناية والاهتمام، إذ الشباب هو الامتداد الطبيعي للأمة، وهو أملها ومعقد رجائها، في صيانة هويتها الدينية، والحضارية.

وتسعى المجالس بكل ما تملكه من إيمان ووُسْع، لاستقطاب القدرات الشابة التي هي عدتها، وعتادها لإنجاز برامجها التنويرية الإصلاحية، فقد أصبح لكل مجلس شبيبته التي يعمل على توسيع قاعدتها، وتكثير سوادها ليجعل منها الأداة التي يتواصل بواسطتها مع مختلف فئات المجتمع، في الحواضر والبوادي، وفي الجبال والسهول.

الشريعة والإرهاب

• شكلت ندوة الدار البيضاء "حكم الشرع في دعاوى الإرهاب"، حسب ما أكده الإعلاميون والملاحظون، نقلة نوعية في عمل المجلس العلمي الأعلى وفي التصدي الشجاع لما يتهدد أمتنا من مخاطر الإرهاب ومعالجة منابته الفكرية ... ما هي أهم رسائل هذه الندوة؟

نجاح تجربة إشراك المرأة العالمة في المجالس العلمية يدفع إلى التفكير في تخصيص حيز أرحب للعمل النسائي داخل المجالس وفروعها

• ندوة الدار البيضاء حول: «الإرهاب في منظور الشرع»، كانت بمثابة حجر الزاوية في بناء ثقافة عاصمة، تحمي الأمة من شر التطرف ومخاطر الغلو.

والعلماء، من جهتهم، عازمون على السير بعملية التصحيح إلى نهايتها. وفي مقدمة ما تتغياه مهمة العلماء تطويق ظاهرة الفهم الخاطئ للدين، وحماية شبابنا من آفات الوقوع في شَرَك الضالين المضلين.

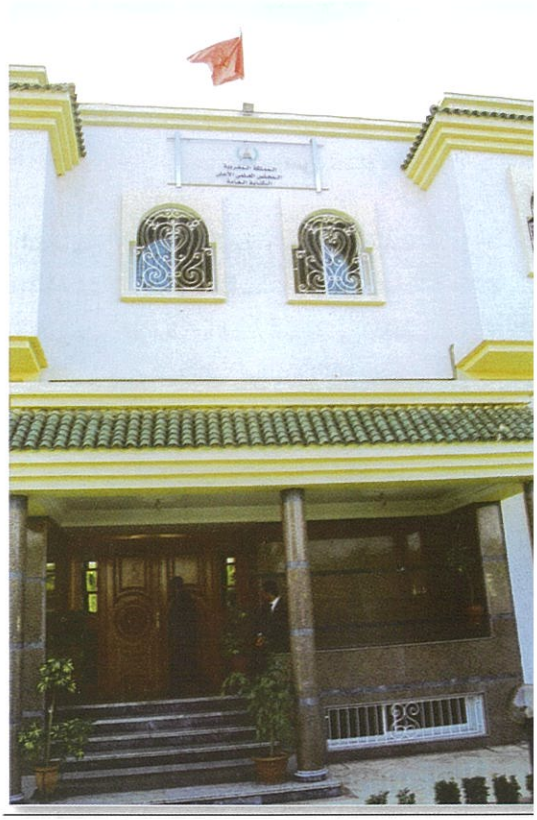

مدخل المجلس العلمي الأعلى بالرباط

إن الإرهاب كائن غريب، شرير، وحركة عدمية سلبية تتغذى على الجهل بالدين، ومعه عيوب اجتماعية وأخلاقية يجب تنقية المجتمع منها من أمية -بمعناها الكبير-، وفقر وحرمان وظلم، واستغلال فلا سبيل إلى اقتلاع جذور الإرهاب اقتلاعا جذريا إلا بالقضاء على منابع غذائه.

ولاشك أن الأمة قادرة على مغالبة الشر والفساد، عندما يصح منها العزم على الانتصار، وعلماء الأمة ماضون في القيام بواجبهم نحووطنهم وقومهم، وعلى الجميع أن يدرك مخاطر هذه الآفة، وأن كل تهاون أو تقاعس عن تطويق الشر ومحاصرته يعد مشاركة فيه وإعانة عليه، وتشجيعا لفاعليه.

تسعى المجالس إلى استقطاب الشباب لأنهم عدتها في إنجاز البرامج التنويرية الإصلاحية

الديمقراطية

• <u>المغاربة مقبلون على موسم استحقاقات جديد... ما دور المؤسسة العلمية في دعم مسلسل الديمقراطية؟</u>

• الديمقراطية خلق وتربية، وهي ثقافة وسلوك، إنها فن التعايش مع الآخرين، في احترام مقدساتهم ومعتقداتهم، وأشخاصهم وحقوقهم، الديمقراطية بهذا المفهوم، مطلب شرعي وفريضة دينية، ومن ثم فإن العلماء لا يمكن إلا أن يكونوا من دعاتها، المنتصرين لها، والمدافعين عنها، بيد أن الديمقراطية لا يمكن استيرادها وجلبها من الخارج، كما تجلب السلع وتستورد البضائع، فهذا النوع من الديمقراطيات مآله الفشل والخسران في عاجل أمره وآجله.

ومن أجل أن تثمر الديمقراطية ثمارها، وتؤتي كل حين أكلها، لا بد أن تكون مؤسسة على قيم الأمة وتاريخها وحضارتها وأعرافها وتقاليدها، نابعة من تربة أرضها، ومستظلة بظل سمائها.

ومن أجل أن ينتفع الناس بالديمقراطية، وتتخذ سبيلها إلى قلوبهم وتحظى بقبولهم، لابد أن يكون دعاتها، مؤمنين بها ملتزمين بقيمها ومبادئها، وأن يُرى أثرها في سلوكهم وأفعالهم.

الجالية المغربية

• <u>هل تطمح المؤسسة العلمية إلى توسيع مجال عملها في تأمين الوعي الديني السليم للجالية المغربية في الخارج؟</u>

• أهلنا في بلاد الهجرة، يمثلون امتدادا سلاليا وتاريخيا وحضاريا، وأخلاقيا لوطنهم وقومهم، هم السفراء الحقيقيون لأمتهم لدى شعوب الدنيا، والمرآة التي تنعكس عليها صورتها. عن طريقهم يتعرف الناس علينا، فيرضون عنا، أو يسخطون علينا، بوسعهم أن يرفعوا شأن وطنهم بسلوكهم وسيرتهم الحميدة إن أحسنوا، أو أن ينزلوا به إلى الحضيض إن أساءوا.

العلماء يعيشون قضايا أهلهم في المهجر وانشغالاتهم، فلم تنعقد دورة من دورات المجلس الأعلى، إلا كان ملف المهاجرين حاضرا بكل ما له من أهمية، وفي كل موسم من مواسم العودة، تعد المجالس العلمية المحلية برامج خاصة بالمهاجرين وأبنائهم وأسرهم يتلقون فيها ما ينفعهم في حياتهم الدينية، ويساعدهم على تنشئة أبنائهم تنشئة تربطهم بتاريخهم، وحضارتهم وثقافتهم، ولن يهدأ للعلماء بال حتى يمدوا بينهم، وبين أبناء وطنهم في ديار الهجرة، جسرا دائما للتواصل يتم عبره تقديم ما هم في حاجة إليه من خدمات شرعية، وحراسة معنوية، وإرشاد ديني ووطني، يجعلهم في مأمن من خطر التيارات المنحرفة، والأفكار الضارة، وعسى أن يكون ذلك - إن شاء الله- قريبا.